# قيمة اللعب فى تشخيص أمراض الاطفال النفسية

بقلم
عطيه محمود هنا
مدرس علم النفس — معهد التربية المعلمين

« إن طبيعة عقل الطفل البدائية تجعل من الضرورى البحث عن طريقة من طرق التحليل تتفق وهذه الطبيعة . وهذه الطريقة نجدها فى التحليل النفسى القائم على اللعب ، فعن طريق هذا التحليل النفسى نصل إلى أعمق خبرات الطفل المكبوتة ، وإلى أعقد حالات التثبيت ، وبهذا نستطيع أن نؤثر تأثيراً جوهريا على نمو الطفل . والاختلاف بين طريقة التحليل القائم على اللعب وطريقة التحليل النفسى للكبار اختلاف فى الأسلوب وليس فى الأسس التى يقوم عليها كل منهما .

ميلانى كاين
فى كتابها « التحليل النفسى للاطفال »

مقدمة — نبذة تاريخية — مميزات استخدام اللعب فى الكشف عن نفسية الطفل — اللعب السوى واللعب المرضى — أنواع اللعب المرضى — الخلاصة — المراجع .

## مقدمة

اللعب حياة الطفولة ، إذ أنه وسيلة الطفل الطبيعية فى تفهم مشاكل الحياة التى تحيط به ، والتى تفرض نفسها عليه فى كل لحظة وآونة ، فمن طريقه يكتشف الطفل البيئة التى يعيش فيها ، ويوسع من معلوماته عنها ، ويزيد من مهارته ، ويعبر عن أفكاره ووجداناته . ووظيفة اللعب لا تقتصر على مجرد تفهم الحياة والتعبير عما يدور فى أعماق نفسه ، بل إنه عامل هام من عوامل التكيف الضرورى بين الطفل والبيئة

التى يعيش فيها سواء كانت هذه البيئة مادية أم اجتماعية وسواء كان التكييف جسمياً أم نفسياً أم اجتماعياً .

ومن هذه المحاور الثلاثة التى تدور حولها وظيفة اللعب أى الفهم والتعبير والتكيف تظهر لنا أهمية اللعب سواء فى ميدان التربية أم فى مجال العلاج النفسى أم فى دائرة الخدمة الاجتماعية للأطفال .

وفيما يتعلق بالناحية التى قصرنا موضوعنا عليها ، نجد أن اللعب من حيث هو تعبير عما فى النفس يساعدنا أجل المساعدة فى تشخيص الأمراض النفسية فى حين تقصر بنا الطرق الأخرى عن الوصول إلى هذا الغرض . كما أننا نجد أنه هو الوسيلة التى يعتمد عليها العلاج أيا كان موضوعه وطبيعته .

فهو باعتبار أنه عامل التكيف بين الطفل والبيئة المحيطة به يقدم لنا العامل الهام فى العلاج النفسى ، وهذا العامل يتلخص فى أنه يساعد الطفل على تكوين فلسفة خاصة به فى الحياة وهو الهدف الذى ترمى إليه التربية والتى تحاول أن تجعله متفقاً مع أهداف المجتمع ومبادئه .

## نبذة تاريخية

ويرجع الفضل فى اكتشاف ما للعب من قيمة فى تشخيص حالات الانحراف النفسى والأمراض العقلية إلى مؤسس التحليل النفسى سيجمند فرويد[1] Sigmund Freud الذى قام بتحليل طفل صغير « هانس » تحليلا نفسياً . وقيامه بهذا التحليل كان نواة التحليل النفسى القائم على اللعب . وكان سبباً فى وجوب اتباع أسلوب خاص فى عملية تحليل الأطفال غير الأسلوب المتبع فى تحليل الكبار . ومن الحالات التى عالجها فرويد والتى دلت على ما للعب من قيمة تشخيصية ، الحالة التى ذكرها فى كتابه « ما وراء مبدأ اللذة »[2] وهى حالة طفل لاحظ عليه أنه كان يلعب باستمرار بلعبة مربوطة بخيط . كان يقذف بها ثم يعود فيجذبها بواسطة الخيط . وكان عند ما يقذف بها يصيح صيحة تدل على الإعاجه ، فى حين أنه كان يصيح صيحة الفرح والانتصار عند ما يجذبها — ومن الواضح أن عملية قذف الأشياء ما كانت لتثير الملاحظة إذا صدرت عن طفل يقل عمره عن اثنى عشر شهراً ولكن هذا الطفل كان قد تجاوز السنة والنصف

(١) Freud, Sigmund. Analysis of a Phobia in a Five-year-old Boy, 1909.

(٢) Freud, Sigmund. Beyond the Pleasure Principle, P. 13.

عمراً وكانت انفعالاته فى أثناء لعبه واضحة غير مألوفة — وكان من المعروف عنه أن والدته كانت تتركه لفترات طويلة ومن هنا كان من الضرورى أن نبحث عن المعنى الرمزى الذى تتضمنه هذه العملية . والانفعالات المصاحبة لها . وقد فسر فرويد هذه العملية على أساس أنها تمثيل لغياب الأم ثم عودتها المصحوبة بالسرور ، وبذلك كان الطفل يخفف عن طريق لعبه من الصراع الداخلى ( الحب والخوف ) بأن يظهره فى حياته الشعورية وبالتالى كان لعبه تخفيفاً مؤقتاً لحالة القلق التى تسيطر عليه .

وقد لاحظ كارل يونج مؤسس مدرسة علم النفس التحليل ما فى لعب طفلة فى الرابعة من عمرها من معان تحليلية[١] .

ومنذ هذا الحين أخذ علماء النفس العلاجى بالاهتمام باللعب من حيث هو وسيلة تساعدهم على تفهم حالة الأطفال المرضى بأمراض نفسية وكذلك من حيث هو طريقة من طرائق العلاج النفسى .

وكان ممن اهتم بهذه الناحية ميلانى كلين[٢] التى اهتمت بالتحليل النفسى للأطفال ووضعت فى ذلك كتابها المشهور « التحليل النفسى للأطفال » . وكانت المواد التى تستخدمها فى عيادتها عبارة عن منصة منخفضة توجد عليها عدة لعب خشبية تمثل رجالا ، ونساء ، وأطفالا ، وحيوانات ، وسيارات ، وعربات ، ومنازل ، وأوراقاً ، ومقصات .... إلخ .

ولسنا بصدد تعداد المهتمين بالتحليل النفسى للأطفال عن طريق اللعب أو علاجهم عن هذا الطريق . ولكن يكفى أن نذكر منهم أنّا فرويد Anna Freud ، وسوزان أيزاكس Susan Isaacs التى فقدها علم النفس حديثاً ومارجريت لوفنفلد Margaret Lowenfeld

ومنذ خمسة وعشرين عاماً أخذت عيادات الأطفال النفسية تهتم باللعب وظهر الإخصائيون فى تشخيص الأمراض النفسية للأطفال وعلاجها عن طريق اللعب ، وأنشئت مراكز اللعب ، وأصبح العلاج عن طريق اللعب يقوم على أساس فردى أو جمعى[٣] وأصبحت العيادات السيكولوجية مجهزة باللعب والأدوات التى يستخدمها الأطفال فى ألعابهم .

(١) Yung. Collected Papers in Analytical Psychology.

(٢) Melanie Kleine: Psychoanalysis for children [London 1937].

(٣) Lewis and Pacella; Modern Trends in Child Psychiatry [New York, 1945.]

## مميزات استخدام اللعب فى الكشف عن نفسية الطفل

وينبغى علينا قبل أن نبحث فى اللعب من ناحية قيمته التشخيصية فى الأمراض النفسية أن نعرض للأسباب التى من أجلها فضل العلماء أن يستخدموا اللعب فى تشخيص الأمراض النفسية عند الأطفال .

من المعروف أن علاج الكبار من الأمراض النفسية يتم عادة عن طريق التحليل الذى يستخدم الأحلام والترابط الحر والذكريات القديمة المنسية . ولكن من الواضح أن هذه الطريقة ليست ملائمة فى علاج الأطفال الذين لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم وعن انفعالاتهم وأفكارهم عن طريق اللغة كما هو الحال لدى الكبار (١) ومن ثمة وجد أن من الضرورى أن نلجأ إلى اللعب نستكشف من خلاله مشكلات الأطفال وانفعالاتهم وتخيلاتهم وأوهامهم باعتبار أنه أوضح أساليب التعبير لدى الأطفال وأقربها إلى طبيعتهم وأسهلها بالنسبة لهم .

وهنا يجب أن نذكر أن ملاحظة الأطفال فى ألعابهم يجب ألا تقتصر على نموذج اللعب play pattern بل يجب أن تشمل الانفعالات التى تظهر عليهم فى أثناء اللعب والعبارات التى تصدر عنهم والإشارات التى يقومون بها والمواد التى يستخدمونها هذا إلى أن دلالة كل من هذه تتغير باختلاف أعمار الأطفال وبيئاتهم الاجتماعية والمستوى الثقافى لأسرهم .

وثمة سبب آخر يدعو إلى تفضيل اللعب على غيره من الوسائل فى الكشف عن الصراع النفسى لدى الأطفال ، ذلك أن اللعب نشاط حر غير مقيد . فالطفل فيه لا يتخذ عادة موقفاً معيناً تمليه عليه التقاليد أو العرف أو الآداب ومن هنا كان من الواجب على المعالج ألا يتدخل فى لعب الطفل أو يوجهه أو يلفت نظره إلى بعض ما يقوم به أو يشعره بأنه يراقبه لأن هذا كله يفقد اللعب ما له من حرية وبالتالى يفقده قيمته التشخيصية .

وتشير لويز ديسبرت فى مقالتها عن التحليل عن طريق اللعب فى البحث والعلاج (٢) إلى الطفل الذى جاء ذكر الأب فى أحد التمثيليات التى كان يقوم بها . فأخطأ

(١) على أن هذا لا يتنافى مع إمكان إجراء التحليل النفسى عن طريق اللغة على بعض الأطفال فى سن الخامسة دون الاستعانة باللعب .

(٢) J. Louise Despert; Play Analysis in Research and Therapy, in Modern Trends in Child Psychiatry, edited by Lewis and Pacella p. 222.

وقال « أبي » وعندئذ قالت له الملاحظة « أبوك ؟» فكان هذا تنبيهاً منها إلى عملية التقمص وبالتالى تداخلا فى نشاط الطفل الحر . هذا السؤال له قيمته إذا جاء فى مرحلة متأخرة أى إذا جاء فى وقت يكون الطفل فيه مستعداً لقبول هذا التفسير لعملية التقمص التى قام بها .

على أن هذا لا يمنعنا من القول بأن اللعب وحده لا يكفى فى تشخيص الأمراض النفسية عند الأطفال وإنما يجب أن يصحب هذا دراسة تتبعية لحياة الطفل فى أسرته وفى مدرسته وعلاقاته مع والديه وإخوته وأقاربه وزملائه .... إلخ . وكذلك يجب إجراء الاختبارات النفسية المختلفة على الطفل وكذلك الفحص الطبى والعقلى وبذلك نستطيع أن نعرض صورة واضحة للطفل ويصبح لنا الحق بناء على هذا كله فى تفسير سلوكه ومعرفة أسباب انحرافه .

## اللعب السوى واللعب المرضى

فى أثناء دراسة اللعب توصل المهتمون بدراسة الأطفال وتربيتهم وعلاج أمراضهم النفسية إلى أن لكل مرحلة من مراحل الطفولة ألعابها المتميزة . وأن الطفل فى أثناء نموه يظهر ميلا إلى أنواع معينة من اللعب . ويمارسها بطريقة معينة وهذا ما دعاه علماء نفس الطفل إلى القول بمراحل مختلفة . كل مرحلة منها تقابل مرحلة من مراحل نمو الطفل ، وهذه المراحل يمر بها الطفل السوى فى أحيائها الطبيعية على شريطة أن تكون الوسائل والفرص التى ترضى حاجته مهيأة له ، فإذا لم تكن هذه الوسائل والفرص مهيأة له فإن الطفل قد «ينكص» إلى مرحلة سابقة عن المرحلة التى تتناسب وسنه ، وهذا ما لاحظته مس بويس[1] على أطفال مدرسة رالى أما فى حالة الأطفال المصابين بالقلق المرضى فإن اللعب التكوصى يصبح له معنى خاصاً به فى كل حالة على حدة ويصبح عرضاً لحالة مرضية معينة كأن يكون دلالة على نزعة عدوانية أو .... إلخ . وقد اختلف علماء النفس فى تقسيمهم لأنواع اللعب وكان اختلافهم راجعاً فى الغالب إلى الأسس التى بنوا عليها هذا التقسيم فالبعض بنى تقسيمه على أساس الدوافع المسيطرة على الطفل فى كل مرحلة من مراحل نموه[2] والبعض الآخر بنى تقسيمه على أساس أوجه النشاط المختلفة التى تسود نشاط الطفل فى كل

(١) Miss Boyce: Play in the Infant School. London 1938.

(٢) هذا هو الأساس الذى قسمت ريني Reaney اللعب على أساسه فى كتابها المشهور Place of Play in Education, London, 1947.

مرحلة من مراحل نموه[١]

على أن هذا ليس معناه أن أنواع اللعب المختلفة يعقب بعضها بعضاً، بل إن من المشاهد أن أنواع اللعب المختلفة تتداخل فيما بينها إلى حد ما وهذا ما يتطلب خبرة عميقة من المعالج حينما يدخل اللعب ضمن وسائله فى تشخيص أمراض الأطفال النفسية .

ومن الممكن أن يلاحظ المعالج سلوك الطفل فى ألعابه المختلفة إلى درجة تمكنه من أن يقول عن الطفل : « إنه يلعب كطفل أصغر منه ... أو إنه يلعب كطفل أكبر منه » .

وينبغى أن نلاحظ أن الطفل القلق فى لعبه هو الطفل الذى لم ينشأ النشأة السليمة ، والذى لم ترض حاجاته الملحة فى الوقت المناسب وبذلك لم يتم النمو السوى . وكان لذلك أثره الواضح فى لعبه : وتقول فى ذلك مارجريت لوفنفلد « إن من خصائص الأطفال العصابيين أنهم قد يقتبسون أى شكل من أشكال اللعب فى أى سن ، ومثل هذا التناقض يعتبر من خصائص المزاج العصابى طوال الحياة »[٢]

والواقع أن اللعب المرضى يمكن أن ندخله بجميع أنواعه تحت نوع واحد شامل هو اللعب التكوصى . ذلك أننا فى جميع الحالات المرضية نجد أن الطفل المصاب بمرض نفسى يلعب ألعاباً خاصة بالأطفال الأصغر سناً منه . ويختار لذلك الوسائل التى لا يستخدمها من هم فى سنه من الأطفال العاديين ، ذلك لأن الطفل لم يشبع حاجاته النفسية أثناء مراحل نموه الحسناى ، وبذلك يظل واقعاً تحت إلحاح لاشعورى يجعله يرغب فى أن يلعب ألعاب من هم أصغر منه سنا ، وهذا ما يتفق مع مبادىء نظرية التحليل النفسى فى أن كل انحراف نفسى أو مرض عقلى إنما هو تثبيت لمرحلة من مراحل النمو .

ومادام اللعب يعبر عن شخصية الطفل وعما تعانيه هذه الشخصية من انحراف ينشأ عن كبت وصراع فمن الضرورى أن نبين اختلاف لعب الأطفال المنحرفين عن لعب الأطفال العاديين ، فالطفل المنحرف يقترب من أدوات اللعب بطريقة

---

(١) هذا هو الأساس الذى بنى عليه تقسيم كل من مارجريت لوفنفلد Margaret Lowenfeld فى كتابها Play in childhood London, 1996 وليديا جاكسون Lydia Jackson و كاثلين تود Kathleen Todd فى كتابها Child Treatment and the Therapy of Play. London 1946.

(٢) Margaret Lowenfeld; op.cit. p. 233.

تخالف طريقة الطفل السوى . فبعض الأطفال المنحرفين يهجمون على اللعب بصورة تدعو إلى الدهشة والاستغراب . وقد يحطمون اللعب بقسوة وعنف ظاهرين . والبعض الآخر يخافون الاقتراب من اللعب وحتى إذا تركوا وشأنهم فإنهم لا يقتربون من اللعب ، رغم ما هو معروف عن الأطفال من ميل إلى اللعب . وقد ترجع أسباب هذا الابتعاد إلى عدم ألفة الطفل باللّعب واللّعب نتيجة حرمان شديد ، أو إلى ذكريات مؤلمة عنيفة ، أو إلى نزعات عدوانية لا شعورية تجعله يحجم عن اللعب خشية مايقوم به من تدمير يؤدى إلى سوء العاقبة .

ويختلف الطفل السوى عن الطفل المنحرف فى اللعب . فلعب الأول يمتاز بالطلاقة والحرية والحيوية ، أما لعب الثانى فقد يتميز بالرزانة والوقار والتزمت مما لا يتفق مع سنه ، وقد يتميز لعبه بالنشاط الزائد عن المألوف أو التكرار المستمر أو عدم الاستقرار .

## أنواع اللعب المرضى

إن أنواع اللعب المرضى التى سوف نذكرها لا نعنى أن هناك تصنيفاً منطقياً جامعاً مانعاً للعب ، فاللعب المرضى عرض يصدق عليه كل ما يصدق على أعراض الأمراض النفسية .

فالمرض النفسى يتخذ صوراً وأعراضاً مختلفة ، كما أن العرض الواحد قد يكون نتيجة لأمراض مختلفة ولذلك كان من الواجب ألا يقوم تشخيص الانحراف على أساس اللعب وحده بل يجب الرجوع إلى تاريخ الحالة ، ودراسة البيئة المادية والاجتماعية التى يعيش فيها الطفل ودراسة قدراته وانفعالاته وميوله ومزاجه .

١ — العجز عن اللعب :

ويجدر بنا قبل أن نذكر أنواع اللعب المرضى المختلفة أن نذكر الناحية السلبية منه وهى ناحية العجز عن اللعب ، فنحن نقابل أطفالا لا يستطيعون اللعب وهنا يجدر بنا أن نتساءل عن الأسباب التى تؤدى إلى هذا العجز[1] . إن العجز عن

(١) ينبغى أن نذكر هنا أن عجز الطفل عن اللعب ليس من الضرورى أن يكون عرضا من أعراض الانحراف النفسى ، فقد لاحظت مس بويس أن عدد كبيراً من أطفال مدرستها كانوا لا يستطيعون اللعب ، وأن السبب فى هذا يرجع إلى فقرهم المدقع وإلى أنهم كانوا محرومين من اللعب ، على أن نفس العوامل التى تؤدى إلى الفقر المادى قد تكون السبب فى الحرمان العاطفى ، الأمر الذى يؤدى إلى الإصابة بالأمراض النفسية انظر Boyce, Play in the Infant School p. 91-92.

اللعب يرجع فى الغالب إلى انعدام الأمن المادى أو العاطفى . ذلك أن اللعب نشاط سار للذيذ ولكنه فى الوقت نفسه وسيلة من وسائل إشباع الحاجات الخاصة بالطفل . فإذا تصادف وكانت الحياة التى يحياها بحيث تجعله غير آمن على نفسه فإننا نشاهد الطفل وقد أخذ ينعزل عن البيئة المحيطة به ويركز جهوده فى خبراته الداخلية ، فيبدأ حياة تملؤها الأوهام وأحلام اليقظة وتأخذ الصلة بينه وبين العالم الخارجى فى التضاؤل يوماً بعد يوم حتى يصبح مجرد التفكير فى أن يتعادل مع البيئة ولو فى أثناء اللعب مما يثير فى نفسه الخوف والهول[١]

ومن الأمثلة الدالة على ما يسببه فقد الأمن من أثر على الطفل يمنعه من اللعب ، مثال الطفل الذى روت قصته كلار بريتون[٢] فهذا الطفل كان فى السادسة من عمره منعزلا تمام الانعزال عن غيره ، يعيش فى أوهامه ، لا يتحدث ، ويجيب عن الأسئلة التى توجه إليه فى تردد ، ولا يقوم بأى نشاط بل يراقب الغير فقط ، وقد تبين من البحث أنه فقد أبويه فى إحدى الغارات الجوية على انجلترا فى أثناء الحرب الأخيرة ، وبذلك فقد كل أمن ، ومن حسن حظه أن عهد برعايته إلى سيدة فهمت ما حدث له ، فأغرمت به ولم تحاول أن تفرض نفسها عليه فتركته يسير على هواه ، وبعد مدة بلغت عاماً تقريباً ابتدأ يستجيب للعالم الخارجى فكان هذا دلالة على أنه ابتدأ يستعيد الأمن الذى فقده بموت والديه ، وعند ما بدأ فى اللعب كان خجولا يترك اللعب إذا لاحظ أن شخصاً غريباً يراقبه . ولكنه كان يلعب فى حضور مضيفته وعند ما يكون طفلها خارج المنزل . وبعد ذلك أخذ فى تمثيل الحادثة التى حدثت لوالديه وأخذ يسأل بعض الأسئلة عن الموت . ثم أخذ بعد ذلك فى تكرار ما حدث حتى واجه أخيراً حقيقة موتهما ولا شك فى أنه لم يبدأ فى اللعب إلا حينما بدأ يطمئن إلى السيدة القائمة على رعايته .

ومع هذا ينبغى أن نذكر أن لعب هذا الطفل لم يكن اللعب الحر السار الذى يلعبه الطفل العادى ، ولكنه كان يتضمن كثيراً من القلق والخوف .

وقد يرجع السبب فى عدم لعب الأطفال إلى نزعات عدوانية عنيفة تجعلهم لا يستطيعون اللعب بالطريقة المألوفة ، ولكنهم فى الوقت نفسه يخشون أن تسيطر عليهم هذه النزعات العدوانية فيسيئون بذلك إلى من يحبونهم فيلجأون إلى الامتناع

(١) جاء فى القواميس الهول هو الخوف من شىء لايدرى الإنسان ما يهجم عليه منه

(٢) Clare Britton; The Children who cannot play, in "Play and Mental Health (N.E.F. Monograph No. 3.)

عن اللعب . وفى الوقت نفسه يلجأون إلى عالم خيالى يحاولون فيه إشباع حاجاتهم ، أى أنهم يشبعون حاجاتهم عن طريق الفكر دون العمل . وغالباً ما نكتشف أن هذا العالم الذى يعيشون فيه عالم تملؤه الشياطين الذين يريدون أن يقضوا على الطفل القضاء المبرم ، والملائكة الذين يشاركونهم كل شىء حتى طعامهم .

ومن الطبيعى أن نمر على الأطفال العاديين أوقات ينعزلون فيها عن العالم الواقعى ويقيمون لأنفسهم عالماً خاصاً تشبع فيه رغباتهم ، ولكن الطفل المنحرف هو الذى يعزل نفسه عن العالم الواقعى عزلا تاماً ويقطع صلته به مدة طويلة .

٢ — اللعب العدوانى :

وقد يتميز لعب الأطفال المنحرفين بالعدوان والتدمير وفى هذا اللعب يعبر الطفل عن العداوة المستقرة فى أعماق نفسه تعبيراً سافراً . ومهما اختلفت نظريتنا الأساسية فى تفسير العدوان وقيمته السيكولوجية ومعناه الرمزى ، إلا أننا نجد أن العدوان نزعة طبيعية فى نفوس الأطفال . وهذا العدوان يتجه عادة نحو الأشياء أو الأشخاص وأحياناً نحو الذات . غير أنه لا يصح أن يعتبر كل لعب عدوانى دلالة على انحراف الطفل وشذوذه . فكثيراً ما نلاحظ العدوان فى ألعاب الأطفال العاديين وخاصة فى ألعاب الأطفال الذين أتيحت لهم فرصة اللعب الحر لأول مرة .

وهنا يجدر بنا أن نقرن بين عدوان الطفل المنحرف وعدوان الطفل السوى كما يظهر فى اللعب . فالطفل السوى قد يكسر لعبه ، ويعيث فى الأرض فساداً ، ويبنى القصور ليهدمها وهو عند ما يفعل ذلك إنما يعمل على إشباع دوافعه . ولكننا نلاحظ أن هذا العمل لا يسبب له سروراً شديداً ، ولا يصطحب بانفعالات قوية ، ثم إنه لا يستمر فى العدوان مدة طويلة بل سرعان ما يتحول إلى الناحية الإنشائية البنائية فى اللعب . أما الطفل المنحرف فإنه يندفع إلى العدوان والتحطيم اندفاعاً لا يستطيع مقاومته ، وتظهر عليه آثار الانفعالات القوية التى تسيطر عليه ، وتبدو عليه آثار التعب السريع أو الإنهاك العنيف نتيجة التوتر النفسى الذى يسيطر عليه .

هذا العدوان الذى يظهر فى لعب الطفل كثيراً ما يكون دلالة على عدوان مكبوت موجه نحو أشخاص يحبهم ويخشاهم ، أو نتيجة حاجته الشديدة إلى العطف والحنان من والديه أو المحيطين به ، وهو بهذا اللعب العدوانى قد يخدم رغبة لاشعورية فى أن يوقع عليه الجزاء وبذلك يخفف من شعوره بالذنب الناشئ عن رغباته

العدوانية اللاشعورية ، ويؤكد لنفسه أن هذه العقوبة ليست بالشدة أو القسوة التى كان يتخيلها .

ولنذكر حالة طفل فى السابعة من عمره ، تدمر عنيد يقضى وقته فى غرفته يتلف أثاثها ويمزق ما فيها من مفروشات ، ويلطخ جدرانها بالألوان والطباشير . وأصبح يحطم حاجاته ويدمر لعبه وظهرت عليه علامات النكوص فى سلوكه وبالبحث عن تاريخ حياته وجد أن أمه ماتت وهو صغير وتزوج أبوه سيدة لم تكن تهتم إلا بنفسها وكرهت ابن زوجها فكان لعبه هذا تعبيراً عن النزعات العدوانية التى سيطرت عليه نحو زوجة أبيه ولم يستطع أن يظهرها فى شكلها المألوف[1] .

٣ — اللعب النكوصى :

وهناك أيضاً ظاهرة اللعب النكوصى والنكوص ظاهرة نشاهدها فى حالة الإصابة بالأمراض النفسية فى مظاهر السلوك المختلفة ، ولكنها قد تظهر فى لعب الطفل ، فتراه يرتد فى لعبه إلى مرحلة سابقة من مراحل اللعب بالنسبة لسنه وهذا النوع من اللعب نشاهده فى الأطفال الذين يجدون لذة ويبدون اهتماماً كبيراً فى اللعب بالرمل والماء فى حين نجد أن الأطفال السويين الذين فى سنهم قد تجاوزوا هذه المرحلة بزمن طويل . وهذا النكوص لا يظهر فى تفضيل الطفل لمواد معينة يلعب بها ، ولكنه يظهر أيضاً فى نوع اللعب الذى يفضله فهو قد يتخذ دور طفل أصغر منه وهو بهذا يكشف عن الصراع الذى يعانيه والذى كثيراً ما ينشأ عن حالات الغيرة من الإخوة الصغار . ومن أمثلة هذا النكوص فى اللعب حالة[2] طفلة عمرها خمس سنوات ونصف أبعدت عن المدرسة بسبب ميولها التدميرية ، والاعتداء على المدرسات . وهذه الطفلة بدأت لعبها فى العيادة السيكولوجية بأن اتخذت دور المدرسة واعتبرت القائمة على علاجها طفلة صغيرة ، وكانت مستبدة تعامل المعالجة معاملة لا تسامح فيها ، وتتمسك بمستويات عليا من السلوك . ولكنها سرعان ما تغير سلوكها فاتخذت دور طفلة أصغر سناً مما هى عليه وأصبحت تعتمد على المعالجة ، وأخذت فى لعبها تتكص إلى

(١) فى بعض الأحيان نجد أن النزعات العدوانية لاتظهر بصورتها التى ذكرناها فى كلامنا عن اللعب العدوانى ، بل تظهر فى صورة نكوص فى أساليب السلوك فتظهر فى صورة تبول أو قرض الأظافر أو تهتهة وتلعثم .

(٢) وردت هذه الحالة فى كتاب Child Treatment and the Therapy of Play, by L. Jackson and K. Todd., p. 46.

مراحل الطفولة الأولى فكانت تنام على الأرض . وتزحف كما يفعل الطفل الصغير . وتعتمد فى سيرها على مساعدة المدرسة وتستخدم الأدوات التى يستخدمها الأطفال الأصغر سناً . ولم يحدث كل هذا إلا عند ما وثقت الطفلة بالقائمة على علاجها وكان هذا النكوص فى اللعب علامة على تقدمها نحو الشفاء . كما أنه كان دليلا على أن السبب فيما أصاب الطفلة هو ما فرض عليها من مستويات عليا من السلوك فى حين كانت الطفلة فى مرحلة لا تمكنها من السلوك تبعاً لهذه المستويات . وكان الثمن الذى دفع نتيجة هذا التسرع هو المرض النفسى الذى أصابها .

٤ ـ اللعب الحصارى أو الإلزامى :

وهذه ظاهرة قد تبدو فى لعب بعض الأطفال المنحرفين فنرى بعض الأطفال يبتعدون فى ألعابهم عن كل ما يوسخ ملابسهم . أو تجدهم يرتبون لعبهم فى أشكال معينة . أو يرسمون بدقة وبالاستعانة بالمسطرة والفرجار والممحاة . أو يلعبون دون إحداث صوت على عكس ما يفعل الأطفال العاديون . وغالباً ما نجد أمثال هؤلاء محبوبين من ذويهم يصفونهم بحسن الخلق والسلوك . وأمثال هؤلاء نجدهم فى العيادات السيكولوجية لايقدمون فى الغالب على اللعب إلا فى كثير من التهيب والحذر ويمارسون نوعاً واحداً من اللعب . ويكثرون من تكرار ما يقومون به . ولكن المعالج يقرأ فى هذا اللعب المعانى التى يحاول الطفل أن يسترها بأدبه الجم وأسلوبه الرزين . ولكن سرعان ما يهجر الطفل هذا كله حين تصبح هذه الحيل الهروبية لا قيمة لها فى حياته .

ونجد أمثلة كثيرة لهذا اللعب فى الأطفال اللذين يتجنبون ألعاب الصغار وإن كانوا يشتاقون إليها . وقد ذكر طفل فى الخامسة من عمره أنه كان يحب اللعب بالدمى ولكن هذا لم يحدث إلا عند ما كان صغيراً[١] .

٥ ـ اللعب المشتت :

وأحياناً نجد أن لعب بعض الأطفال المنحرفين يتميز بالتشتت . فالطفل لا يبدأ فى لعبة من الألعاب إلا ليتركها إلى غيرها . ولا يمسك بشىء من اللعب إلا ليقذف به بعيداً ويمسك بغيره وهكذا . فهو دائماً تحت تأثير أفكار جديدة ولكنه لا يستمر

(١) Jackson and Todd; op. Cit. p. 52.

فى العمل على تنفيذها حتى النهاية . وهذا اللعب نشاهده لدى الأطفال الذين فى حالة قلق شديد أو الأطفال غير المستقرين عاطفياً وانفعالياً ، وغالباً ما نجد أن هذا النوع من اللعب يميز الأطفال المصابين بأمراض عقلية إذ نلاحظ على ألعابهم التفكك والبعد عن الحقيقة والرمزية الواضحة فى التعبير عن نزعاتهم وخاصة الجنسية(١)

## الخلاصة

وأخيراً يمكننا أن نقول إن هناك فروقاً واضحة يدركها المختصون بين اللعب السوى واللعب المرضى . وأن اللعب يكشف عن نفسية الطفل ويعبر عن نزعاته المكبوتة . وخبراته المؤلمة والمنسية . كما أنه يكشف عن مصادر التوتر النفسى ، وعوامل القلق والخوف والأسباب النفسية لما يحدث من اضطرابات جسمية . وهو فى الوقت نفسه يكشف عن نوع العلاقات القائمة بين الطفل وأفراد أسرته والمحيطين به .

عطية محمود هنا

## المراجع


1. Bodman, Frank. Aggressive Play, in: Play and Mental Health (N.E.F. Monograph No. 3.)
2. Bristol, Hilda. Play and Mental Health, in: Play and Mental Health.
3. Bolton, Clare. The Children who cannot Play, in: Play and Mental Health.
4. Fordham, Michael. The Life of Childhood. London, 1944.
5. Freud, Sigmund. Collected Papers. London, 1924-5.
6. Jackson, Lydia and Todd, Kathleen. Child Treatment and the Therapy of Play. London, 1946.
7. Klein, Melanie. The Psychoanalysis of Children. London, 1937.
8. Lewis, Nolan and Pacella, Bernard. Modern Trends in Child Psychiatry. New York, 1945.
9. Lowenfeld, Margaret, Play in Childhood. London, 1935.
10. Norman, E. The Play of a Psychotic Child. Brit. J. Med. Psychol. Vol. XXI., pp. 155-170.
11. Reaney, Jane. Place of Play in Education. London, 1927.
12. Richards, T.W. Modern Clinical Psychology. New York 1946.


(١) اعتبر الحالة التى عرضتها الزابيث نورمان فى مقالتها عن لعب طفل مصاب بالجنون
Norman, E. The Play of a Psychotic Child, Brit. J. Med. Psychol. V. XXI., 155-170.